كنوز الحكمة
نشيد الأنشاد 6:5 - 16

- **الدرس الثاني عشر**

رأينا في السابق تعبيراً عَن حُبّ سُليمان لهذه الفتاة التي التقى بِها في الريف وأحْضَرَها مَعه إلى المدينَة. وها هي الآن تجلس على مائدته فيا لَهُ مِن امتيازٍ عَظيمٍ لَها، وقَد كانَت الفَتاةُ فَرِحَةً للغايَة بهذا الامتياز. ورأينا في تلك التأملات بأنَّ روحَ الله يُحاوِلُ أنْ يُرينا مَحَبَّة المسيحِ مِن نَحْوِنا. وهذا الحُبُّ مُعَبَّرٌ عَنْهُ مِن خِلالِ هذه العلاقَةِ الشخصيَّة الرائِعَة للغايَة. فَهِيَ تُرينا مَحَبَّة المسيح للكنيسَة ومَحَبَّتِه للشَخْصِ المؤمِنِ. كانت قَصيدَة حُبِّ العريس، أو قصيدَة حُبّ الربّ يسوع المسيح.

نتابع التأملات في الفصل الخامس من نشيد الأنشاد وهذا يأتي بنا إلى القَصيدَة الخامِسَة. في قِصَّة الحُبِّ هذه قامَ المَلِكُ سُليمان بإحضار هذه الفتاة الشونميَّة المُتواضِعَة مِن ريف أفرايم إلى القَصْرِ في أورشليم. وفي هذه القصائِد تكشِفُ العروسُ عن مَدى دهشَتِها مِنْ كُلِّ شَيءٍ رأتهُ - القَصر، والعَرْش، ومائِدَة وليمَة المَلِك. لكِن حينَما جاءَ المَلِكُ ليوقِظَها لكي تذهَبَ مَعهُ فيما كانَ يَقومُ بِعَمَلِهِ كَراعٍ يبحَثُ عَنِ الخِراف الضالَّة، لَم تَشأ أنْ تَنْهَضَ مِنْ فِراشِها. وحينَما نَهَضَت أخيراً وجاءَت إلى الباب، كانَ قَد مَضى. فَفَتَحَتِ البابَ ونادَت عليهِ، ثُمَّ انطَلَقت باحِثَةً عَنْهُ.

يقول العدد السادس من الفصل الخامس:" فَتَحْتُ لِحَبِيبِي، لكِنَّ حَبِيبِي تَحَوَّلَ وَعَبَرَ. نَفْسِي خَرَجَتْ عِنْدَمَا أَدْبَرَ. طَلَبْتُهُ فَمَا وَجَدْتُهُ. دَعَوْتُهُ فَمَا أَجَابَنِي ". أترى، عزيزي؟ لقَد انقَطَعَت الشَرِكَة بينَ العروسِ والعريس. أنا أؤمِنُ شخصِيّاً بأنّ الكثيرَ مِنَ المؤمنين قَد قاموا بأحَدِ أمْرَين: إمّا أنَّهُم أحْزَنوا روحَ الله بخطاياهم، أو أنَّهُم أطفأوا الروح بِعَدَم إطاعَتِهِم لله. وهذانِ الأمرانِ يَقطَعانِ الشَرِكَة مع الله ويَسْلِبان الفَرَحَ مِنْ حياتِنا. وهذا لا يَعني بأنَّنا فَقَدنا خَلاصَنا، لكِنَّنا دونَ شَكَّ نفقِدُ فَرَحَ خلاصِنا. كَما أنَّ هذا لا يَعني بأنَّنا فَقَدنا الروح القُدُس؛ فهُوَ ما يزالُ يَسْكُنُ في المؤمِن. صحيحٌ أنَّنا قَد نُحزِنُهُ، لكِنَّنا لا نستطيعُ أنْ نتخلَّصَ مِنهُ. لكِنَّنا، دونَ شَكٍّ، قَد نفقِدَ شَرِكَتَنا مع الرَّبّ يسوع. وللأسَفِ الشديد، فإنّ الكثيرينَ يُعانونَ مِنْ هذا الحال. لقَد فَقَدَت العروسُ هُنا شَرِكَتَها مَعَ العريس. واسمَح لي أنْ أقولَ لَكَ، عزيزي، بأنَّكَ إذا لَمْ تَكُن تَفْعَلُ شيئاً مِنْ أجْلِ الله، فلَن تَفْقِدَ خلاصَكَ، لكِنَّكَ بكُلِّ تأكيد سَتفقِد شَرِكَتَكَ الحُلْوَة مَعهُ.

عدد 7:" وَجَدَنِي الْحَرَسُ الطَّائِفُ فِي الْمَدِينَةِ. ضَرَبُونِي. جَرَحُونِي. حَفَظَةُ الأَسْوَارِ رَفَعُوا إِزَارِي عَنِّي ". هَلْ تُدْرِكُ، عزيزي، مِقدارَ ضَعْفِنا إذا حاوَلْنا أنْ نَسْلُكَ في طريقِنا الذي اختَرناهُ لأنْفُسِنا؟ قَد ننطَلِقُ بِحَماسٍ شَديدٍ، لكِنَّ هذا الحَماس لا يُمْكِن أنْ يكونَ بَديلاً عَنْ الشَرِكَة مَع الرَّبّ. وفي يومِنا هذا، يوجَدُ حَماسٌ كبيرٌ لِقَرْعِ الأبواب والشَهادة للناس. وهُنالِكَ أناسٌ مُعيَّنين يَنبَغي عليهِم القيامُ بذلك، في حين أنَّ هُنالِكَ أشخاصاً آخرين لا يَجْدُرُ بِهِم القيامُ بذلك. لاحظ الطريقَة التي استَخْدَمَها الرَّبّ يسوع مَع المرأة السامريَّة عِنْدَ البئر. فقَد كانَت هذه المرأةُ السامريَّة التي جاءَت إلى البئر مِنْ أكْثَر الأشخاصِ الذي قابَلَهُم السيِّدُ المسيح عِداءاً. كَما كانَت جريئَةً للغايَة. لكِن هَل لاحَظْتَ مِنْ قَبْل كَيْفَ تحدَّثَ إليها المسيح؟ فَهُوَ لَم يتحدَّث مَعَها وكأنَّ لديهِ شيئاً يُريدُ فَرضَهُ عليها بالقوَّة. بَل إنَّهُ طَلَبَ مِنها أنْ تسقيه. لقَد تواضَعَ وطَلَبَ مِنها مَعروفاً. ثُمَّ قالَ لِها بكُلِّ كياسَةٍ ولُطْفٍ: "لَو طَلَبْتِ مِنّي الماء لأعطيتُكِ ماءً حَيّاً". وأخيراً طَلَبَت هِيَ مِنْهُ هذا الماء، لكِنَّهُ لَمْ يُقَدِّمْهُ لَها إلاّ بَعْدَ أنْ طَلَبَتْه. لذلِكَ، فَقَبْلَ أنْ نُحاوِلَ فَرْضَ الإنجيلِ على الناس، يَنبَغي علينا أنْ نَفْتَحَ شَهيَّتهم لَهُ. فينبَغي أنْ يَروا في حياتِنا شيئاً ما يدفَعُهُم لمَعْرِفَة المزيد عن الرَّبّ يسوع المسيح. وما مِنْ شَكٍّ في أنَّهُ توجَد مُعارَضَةٌ لِكَلِمَة الله. وأحياناً تأتي هذه المُعارَضَة مِن جِهاتٍ غَيْرَ مُتوَقَّعَة. "وَجَدَنِي الْحَرَسُ الطَّائِفُ فِي الْمَدِينَةِ؛ ضَرَبُونِي." لقَد مَرَّت هذه الفَتاة بِوَقْتٍ عَصيبٍ. لقَد ضَرَبَها الأشخاصُ الذي يُفْتَرَضُ بِهِم أنْ يَحموها. وهذا الموقِفُ نفسه يَحْدُث في الأوساطِ المسيحيَّة. فكَم مِن واعِظٍ في كنائِسِنا يُلاقي الجَفاءَ مِنْ مَجْلِسِ الكنيسَة لأنّ عِظاتَهُ توقِظُ

ضمائِرَهُم وتُزْعِجها. وهكذا، ففي كثيرٍ مِنَ الأحيان تأتي المُعارَضَة للإنجيل مِنَ الأشخاص الذينَ يُفْتَرَضُ بِهِم أنْ يُقدِّموا لَهُ الحِمايَة.

والآن، تتقابَلُ هذه الفتاة مع بناتِ أورشليم. وهُنا نَجِدُ غِناءً مُتبادَلاً. فالعروسُ تُغنّي مَقْطَعاً، وبنات أورشليم يُغنّينَ مَقْطَعَ الردِّ عليها. وهذا يبدو شبيهاً بالأوبرا. تقولُ العروس: عدد 8:" أُحَلِّفُكُنَّ يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ إِنْ وَجَدْتُنَّ حَبِيبِي أَنْ تُخْبِرْنَهُ بِأَنِّي مَرِيضَةٌ حُبًّا ". "إذا وَجَدْتُنَّهُ فأخْبِرْنَهُ كَمْ أنا مُشتاقَةٌ إليه. وأخبِرنَهُ كَم أنا أحبُّه. وَلْيَعْلَم بأنّي أبْحَثُ عَنْهُ." فقَلْبُها مريضٌ شوقاً، وكُلُّ جَسَدِها يَئِنُّ حُباً واشتياقاً. لقَد فَقَدَت الحديقةُ عبيرَها، ولَم يَعُد المُرُّ واللُّبّانِ يَعنِيانَ لَها الشَيءَ الكثير الآن؛ كَما أنَّ جَمال الأزهارِ قَد مَضى وزال. والآن، تُجيبُها بناتُ أورشليم قائِلات: عدد 9:" مَا حَبِيبُكِ مِنْ حَبِيبٍ أَيَّتُهَا الْجَمِيلَةُ بَيْنَ النِّسَاءِ! مَا حَبِيبُكِ مِنْ حَبِيبٍ حَتَّى تُحَلِّفِينَا هكَذَا! ". يبدو رَدَّهُنَّ تشكيكِيّاً. فكأنَّهُنَّ يَقُلْنَ: "مَن هذا الذي تَتقولينَ عَنْهُ بأنَّهُ يَعني الكثيرَ بالنِسْبَةِ لَكِ، ولِماذا تَتَوَقّعينَ بأنَّهُ يَعني لَكِ أكْثَر مِمّا يعنيهِ أحبّاؤُنا لَنا؟" "مَا حَبِيبُكِ مِنْ حَبِيبٍ؟" مَن هُوَ يسوع على أيِّ حالٍ؟ ما الذي يَجْعَلُكَ، عزيزي، تَعْتَقِدُ بأنَّ يسوع يَخْتَلِف عن أيِّ شَخْصٍ آخَر؟ فهُنالِكَ شخصياتٌ عظيمة أخرى غير يسوع. فلماذا تَعْتَقِدُ بأنّ يسوع يَخْتَلِفُ عَن هؤلاء؟ وما الذي يَدْفَعُكَ لتصْديقِ ما يَدَّعيهِ يسوعُ عَنْ نفسه؟ لقَد كانَ يسوع إنساناً فَحَسْب. هذه هيَ نَزْعَة الشَكّ التي نَسْمَعُها في كُلِّ مَكان.

لقد دارَ الكثيرُ مِنَ الجَدَلِ والنقاشِ حَوْلَ يسوع. والخِلافُ حَوْلَ شَخْصِ المسيح يفوقُ بِكَثيرٍ أيَّ خِلافٍ حَوْلَ أيِّ شخصٍ آخَر عاشَ على سَطْحِ هذه الأرض. فهُوَ أكْثَرُ شخصيَّةٍ مُخْتَلَفٌ عليها في التاريخ. اسمَح لي، عَزيزي، أنْ أطْرَحَ عليكَ سؤالاً: "لو حاوَل شَخْصٌ ما في وقتِنا الحاضِر أنْ يُظْهِر يوليوس قيصَر بأنَّهُ كانَ نَذْلاً حقيراً، فهَل سَيُثيرُ هذا الأمر حَماسَكَ وتَهُبُّ للدِفاعِ عَنه؟ وإن حاوَلَ شَخْصٌ ما أنْ يُبيِّنَ بأنّ يوليوس قيصَر كانَ قِدّيساً، فهَل ستَهُبُّ للجَدَلِ مَع هذا الشخصِ ومُحاورته؟ بالنسبَةِ لي أنا فهذا الأمر لا يُثيرُني ولا يُحرِّكُني. فلا يَهِمُّني ماذا يُفكِّرُ الناسُ في يوليوس قيصَر، ولَن أجادِلَ أحَداً بهذا الخُصوص. لكِن إذا ذُكِرَ اسم المسيح فإنَّ البَشَرَ جَميعاً سيَتَّخِذونَ مواقِفَ مُختلفة. ومِنَ المُدْهِش أنَّ الله يُجبِرُنا على اتّخاذِ قَرارٍ بشأنِ ابنِه. فهُو لا يَدَعُ بيلاطُس يُفْلِتَ دونَ أنْ يتَّخِذَ قَراراً حاسِماً. فقَد حاوَلَ بيلاطُس أنْ يتملَّصَ مِن كُلِّ شَيء، وقَد أمَرَ بإحضار حَوضِ ماء وَغَسَلَ يديهِ وقال: "... إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ هذَا الْبَارِّ! ..." (مَتّى 24:27). لكِنْ كَمْ كانَ بيلاطُس مُخْطِئاً! يقولُ أقدَمُ قانون للكنيسَة، والذي يتلوهُ جُموعُ المؤمِنين مُنْذُ ما يزيد عن 1900 سَنَة: "وَصُلِبَ في عَهْد بيلاطُس البُنْطِيّ." فأنْتَ يا بيلاطُس البُنطيّ لَم تَغْسِل يَديك، بل أنْتَ اخْتَرْتَ بِنَفْسِكَ. لقَد دَفَعَكَ الله لاتّخاذِ قَرارٍ حاسِمٍ. لقَد ظَنَّ بيلاطُس بأنَّهُ هُوَ القاضي وبأنَّ يسوعَ هُوَ السجين. لكِنَّهُ لَم يُدْرِك بأنّ يَسوع هُوَ القاضي وبأنَّهُ (أي بيلاطُس) هُوَ السَجين. وما يَزالُ كُلُّ شَخْصٍ في عالَمِنا هذا مُطالَبٌ باتّخاذِ قَرارٍ حاسِمٍ بشأن يسوع المسيح.

"مَا حَبِيبُكِ مِنْ حَبِيبٍ؟" في المُقْتَطَفات الدينيّة المُختارَة يَجري الحَديثُ عن القادَةِ الدينيّينَ الذينَ يُدْعَوْنَ "مؤسِّسو الأديان" مثل موسى، ويسوع، وغاندي، وبوذا، وغيرِهِم. وبِحَسَب "ترتليانوس"، وَهُوَ أحَد آباء الكنيسَة الأولى، كانَ المسيحيّونَ في الكنيسَةِ الأولى يُفضِّلونَ الموتَ على أنْ يَتِمَّ وَضْعُ المسيحِ في مصافِّ الآلِهَة الوثنيَّة التي كانَت مَعروفَةً في الإمبراطوريَّة الرومانيَّة. فقَد كانَ هؤلاءِ المؤمنونَ يرفِضونَ حَتّى وَضْعَ البُخورِ أمامَ تِمثال قيصَر. وكانوا يرفُضونَ القيامَ بذلِك لأنّ محبوبَهُم كانَ مُختلِفاً، فَهُوَ الله.

والآن، سوفَ تُجيبُ العروس على تساؤلاتِ بَناتِ أورشليم وشكوكِهِنّ. قَد تَعْتَقِدُ، عَزيزي، للوَهْلَةِ الأولى بأنَّهُنَّ قد تَمَكَّنَّ مِن إطفاءِ حَماسِها وبأنَّها ستتوقَّفُ عن التغزُّلِ بحبيبِها. لكِنَّ هذا غير صَحيحٍ. فَما حَدَثَ فِعلِيّاً هُوَ أنَّها ازدادَت فَصاحَةً وبَلاغَةً في التعبيرِ عَن حبيبِها.

لنقرأ من العدد العاشر وحتى السادس عشر من الفصل الخامس من النشيد..

10حَبِيبِي أَبْيَضُ وَأَحْمَرُ. مُعْلَمٌ بَيْنَ رَبْوَةٍ. 11رَأْسُهُ ذَهَبٌ إِبْرِيزٌ. قُصَصُهُ مُسْتَرْسِلَةٌ حَالِكَةٌ كَالْغُرَابِ. 12عَيْنَاهُ كَالْحَمَامِ عَلَى مَجَارِي الْمِيَاهِ، مَغْسُولَتَانِ بِاللَّبَنِ، جَالِسَتَانِ فِي وَقْبَيْهِمَا. 13خَدَّاهُ كَخَمِيلَةِ الطِّيبِ وَأَتْلاَمِ رَيَاحِينَ ذَكِيَّةٍ. شَفَتَاهُ سُوْسَنٌ تَقْطُرَانِ مُرًّا مَائِعًا. 14يَدَاهُ حَلْقَتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، مُرَصَّعَتَانِ بِالزَّبَرْجَدِ. بَطْنُهُ عَاجٌ أَبْيَضُ مُغَلَّفٌ بِالْيَاقُوتِ الأَزْرَقِ. 15سَاقَاهُ عَمُودَا رُخَامٍ، مُؤَسَّسَتَانِ عَلَى قَاعِدَتَيْنِ مِنْ إِبْرِيزٍ. طَلْعَتُهُ كَلُبْنَانَ. فَتًى كَالأَرْزِ. 16حَلْقُهُ حَلاَوَةٌ وَكُلُّهُ مُشْتَهَيَاتٌ. هَذَا حَبِيبِي، وَهذَا خَلِيلِي، يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ.

هُنالِكَ شَيءٌ واضِحٌ للغايَةِ هُنا ألا وَهُوَ أنَّها تَصِفُ حبيبَها بتفصيلٍ دَقيقٍ. هَلْ تَعْرِفُ ما يَعنيهِ هذا؟ هذا يَعني أنَّها كانَت تَعْرِفهُ حَقَّ المَعْرِفَة. عَزيزي، إذا كُنْتَ ستُدافِعُ عَنِ الربّ يسوع المسيح اليوم، وإذا كُنتَ سَتَشْهَدُ لَهُ، فينبَغي عليكَ أنْ تَعْرِفهُ جيِّداً. فلا يَكفي أنْ تَعْرِفَ مَن هُوَ، بَل يَجِبُ أنْ تَعْرِفَهُ جَيِّداً إلى دَرَجَةٍ تُمكِّنُكَ مِنَ التَحَدُّث عَنْهُ بِبَلاغَةٍ وفَصاحَةٍ. وحينَما أقولُ "بِبَلاغَةٍ وَفَصاحَةٍ" فإنَّني لا أعني بالضَرورَة المَقْدِراتِ اللغويَّة، وإنَّما أعني الامتِلاء حَماسَةً، وإثارَةً، ومَحَبَّةً لِشَخْصِهِ. فأنا وأنْتَ، عزيزي، لَسنا بِحاجَةٍ لأنْ تَعْرِفَهُ فَحَسْب، وإنَّما نَحْنُ بِحاجَةٍ لأن نُحِبَّهُ. هذا هُوَ التَحَدّي الموضوع أمامَنا هُنا. فالعروس كانَت تَعْرِفهُ؛ بَلْ كانَت تَعْرِفُهُ وَتُحِبُّهُ، وهِيَ تقولُ عَنْهُ بأنَّهُ عَلَمٌ بَيْنَ عَشَرَةِ آلاف. لقَد كَتَبَ الكثيرونَ عَن شَخْصِ يسوع المسيح لأنَّهُ بِجُمْلَتِهِ رائِعٌ وجَميلٌ. وكَما يبدو لي، فإنّ جَمال يسوع يُكْمُنُ في إنسانيَّتِهِ الكامِلَة. أتَفْهَمُ ما أعنيه، عزيزي؟ لا أعني الآن بأنَّهُ كانَ إنساناً رائِعاً فَحَسب، بَل إنَّهُ كانَ إنساناً بِكُلِّ ما في الكِلِمَة مِن مَعنى.

كانَ يسوعُ مِثلنا تَماماً في كُلِّ شَيءٍ ما عَدا الخطيَّة وطبيعَتِنا الخاطِئَة. فقَد كان ينمو في النِعْمَةِ والقامَة. وقَد عَمِلَ، وبَكى، وصَلّى، وأحَبَّ. وقَد جُرِّبَ في كُلِّ شَيءٍ مِثلَنا؛ إلاّ أنَّهُ لَم يَفْعَل خطيَّة. ونَحْنُ نَعْتَرِف بِهِ رَبّاً وإلهاً مَع توما، كَما أنَّنا نَعبُدُهُ ونُوَقِّرُهُ. لكِنْ ما مِنْ شَخصٍ آخَر يُقيمُ مَعَنا مِثْلَ هذه العَلاقَة الحَميمَة، وما مِنْ شَخْصٍ يَقْتَرِبُ هكذا مِنَ قُلوبِ البَشَر. إنَّهُ يَدْخُلُ بِبَساطَةٍ وبِصورَةٍ طبيعيَّةٍ في حياتِنا في القرن الحادي والعشرين وكأنَّهُ نَشَأَ وتَرَعْرَعَ مَعنا في نَفْسِ الحَيّ ونَفْسِ الشارِع. فَهُوَ ليسَ شَخصاً مِنَ القُدَماء. فيا لروعة إنسانيَّتِهِ الحقيقيَّة! فقَد عاتَبْتُهُ مَرتا. كَما أنَّ يوحَنّا، الذي رآهُ وهُوَ يُقيمُ الأمواتَ، ورآهُ وهُوَ يتحدَّثُ مع موسى وإيليّا على الجَبَل، لَم يتردَّد في الاتِّكاءِ على صَدْرِ يَسوع. ولَمْ يَكُن بُطرُس ليَسْمَح ليسوع في البِدايَة بأنْ يَغْسِلَ قَدَميه، لكِنَّهُ طَلَبَ مِنْهُ فيما بَعد أنْ يَغْسِلَ رأسِهِ ويديه أيضاً. لقد كانوا يسألونَهُ أسئِلَةً غبيَّة، ويُعاتبونَهُ، ويُوقِّرونَهُ ويُبجّلونَهُ في نَفْسِ الوقت. وكانَ هُوَ يُناديهِم بأسمائِهِم ويقولُ لَهُم أنْ لا يَخافوا، ويؤكِّدُ لَهُم مَحَبَّتَهُ مِن نَحْوِهِم. وهكذا، فإنَّهُ يبدو لي جَميلاً ورائِعاً.

والسؤال المُهِمّ الآن بالنِسْبَةِ لَكَ، عزيزي، هُوَ: هَلْ يَسوعُ جَميلٌ ورائِعٌ بالنِسْبةِ لَكَ؟ هَلْ أنْتَ قادِرٌ على الحديثِ عَنْهُ بِنَفْسِ الحَماسِ الذي تحدَّثَت بِهِ العروسُ عَنِ عريسِها؟ يَنبَغي علينا جَميعاً أنْ نَعْرِفَ يسوع عَنْ كَثَب إذا أرَدْنا أنْ نكونَ شُهوداً لَهُ. ويَنْبَغي علينا أنْ نُحِبَّهُ. فحينَما يأتي أحَدٌ إلى المسيح فإنَّ هذه ليسَت صَفَقَةً تِجاريَّة. فالمسيحُ رائِعٌ ولا أعْتَقِدُ بأنَّنا نفيهِ حَقَّهُ في التمجيد، والعِبادَة، والشُكْر، والتسبيح. إنَّهُ جَميلٌ ورائِعٌ كَيْفَما نَظَرْتَ إليه. إلَيْكَ عَزيزي، بَعْضَ ما كَتَبَهُ د. "سكوفيلد" عَن الرَّبّ يسوع المسيح: قَداسَةُ يسوع مُفْعَمَةٌ بالدِفْءِ والإنسانيَّة إلى دَرَجَة أنَّها تَجْذِبُ الناظِرَ وتُلْهِمه. فلا نَجِدُ فيها شيئاً قاتِماً أو يَتَعَذَّرُ بُلوغَهُ مِثْلَ ذلِكَ التِمثالِ الموضوعِ في المِشْكاة. فجَمالُ قداسَتِهِ يُذَكِّرُ المَرْءَ بباقَةِ الوردِ أو البَنَفْسَج. ها هُوَ يَسوعُ يستَقْبِلُ الخُطاةَ ويأكُلُ مَعهُم - جميع أصنافِ الخُطاة. نيقوديموس، الخاطئ المُتديِّن الأخلاقيّ؛ ومريم المَجدَليَّة التي خَرَجَ مِنها سَبْعَةُ شياطين. إنَّهُ يَدْخُلُ حياةَ الخُطاةِ بِنَفس الطريقَةِ التي يَنسابُ فيها الجَدْوَلُ العَذْبُ إلى بِرْكَةٍ راكِدَة. فالجَدْوَلُ ليسَ خائِفاً مِنَ التلوُّث، بَل إنَّ طاقَتَهُ الحُلْوَة قادِرَةً على تَطهيرِ البِركَة.

لقَد كانَ يسوعُ مُتعاطِفاً دوماً. فقَد تلامَسَ بعواطِفِهِ الرقيقَةِ مَع الجُموعُ التي بدونِ راعٍ، ومَع الأرمَلَةَ الحزينَة، ومَع ابن الحاكِمِ المَيِّت، ومَع مجنون كورَة الجَدْرِيّين، ومَع الخَمْسَة آلافِ جائِع. فَكُلُّ ما كانَ فيهِ مُعاناة كانَ يلمِس قَلْبَ

يسوع الرقيق. وما كانَ غَضَبُهُ على الكَتَبَة والفِرّيسيّين إلاّ تعبيراً عَن تعاطُفِهِ مَع أولئِكَ الذينَ يُعانونَ بِسَبَب البِرّ الذاتيّ لهؤلاء الكَتَبَة والفِرّيسيّين.

هَل رأيْتَ يسوع وَهُوَ يَبحَثُ عَن "الفُقَراء المُسْتَحِقّين"؟ لقَد شَفى "جَميعَ مرضاهم." ويا لِلنِعْمَة الفائِضَة مِن تعاطُفِه! فلِماذا لَمَسَ ذلِكَ الأبْرَص المِسكين؟ فقَد كانَ بإمكانِهِ أنْ يشفيهِ بِكَلِمَة كَما فَعَلَ مَع قائِدِ المِئَة. ولِماذا بَقِيَ ذلِكَ البائِسُ منبوذاً دوماً، ومَعزولاً عَن أقربائِه، ومُجرَّداً مِن إنسانيَّتِه؟ لقَد فَقَد إحساسَهُ بأنَّهُ إنسان. وقَد كانَ مِنَ النَجاسَة أنْ يَقْتَرِب مِنْهُ أحَدٌ. لكِنَّ لَمْسَة يسوع جَعَلَتْ مِنْهُ إنساناً مِن جديد.

كانَت إحدى المؤمِناتِ تَخْدِمُ في وَسَطِ الفتياتِ المُصاباتِ بالبَرَص الأخلاقيّ (أي اللواتي يَعْمَلْنَ في الدَعارَة). وفي أحَدِ الأيّام، التَقَت هذه السيِّدَة المؤمِنَة بفَتاةٍ فقيرَةٍ تعيشُ في غُرْفَةٍ لوَحْدِها وتُعاني مِنْ مَرَضٍ شَديد. فما كانَ مِن هذه السيِّدَة المؤمِنَة إلاّ وأنْ زارَت هذه الفتاة وقَدَّمَت لَها يَدَ المُساعَدة حيثُ بدَّلَت لَها شَراشِفَ سريرِها، وأحْضَرَت لَها الدواء، وحَضَّرَت لَها الطَعام المُغَذّي، وأوقَدَت لَها ناراً لتتدفّأ، ونظَّفَت لَها غُرفَتَها. وأخيراً قالَت لَها: "هَل يُمْكِنُني أنْ أصلّي مَعَكِ؟" فأجابَتها الفتاة: "لا، فأنْتِ لا تَهْتَمّينَ بي؛ إنَّكِ تَفْعَلينَ ذلِكَ لكي تَضْمَني لَكِ مَكاناً في السَماء". انقَضَت عِدَّة أيّامٍ وهذه السيِّدَة تَخْدِمُ الفتاةَ المريضَة بِكُلِّ لُطْفٍ، في حين كانَت تلْكَ الفتاة تُعامِلُها بِقَسْوَةٍ. وأخيراً، قالَت السيِّدَة للفتاة: "والآن يا عزيزَتي، ها قَد تَحَسَّنَت صِحَّتُكِ، وهذا آخِرُ يَومٍ لي مَعَكِ. لكِن بِما أنَّ هذه آخِرَ زيارَةٍ لي فأرجو أنْ تَسْمَحي لي بتقبيلِكِ." وتلاقَت الشَفَتانِ الطاهِرَتانِ اللتانِ لَمْ تَعْرِفا سِوى الصَلاةَ والكَلِماتِ المُقَدَّسَة مع الشَفَتينِ المُلَوَّثَتينِ بالحَلْفِ والقُبُلاتِ النَجِسَة. وعِندئِذٍ، تَحَطَّمَ كِبرياءُ ذلِكَ القَلْب القاسي. وبهذه الطريقَة، عَمِلَ المسيحُ على جَذْبِ تِلْكَ الفتاة لهُ.

فيما أقومُ بِقِراءَةِ هذه المَقالَة للدكتور "سكوفيلد"، تَعودُ بي أفكاري إلى بِدايَة سِفْر نشيد الأنشاد (نش 2:1): "لِيُقَبِّلْنِي بِقُبْلاَتِ فَمِهِ، لأَنَّ حُبَّكَ أَطْيَبُ مِنَ الْخَمْرِ." فالمسيحُ يُريدُ أنْ يَهِبَنا حُبَّهُ، وعواطِفَهُ، ورعايَتَهُ، ونَعْمَتِهُ، ورَحْمَتَهُ في هذا اليوم؛ أمّا نَحْنُ فإنَّنا نُقَسّي قُلوبَنا مِثْلَ تِلْكَ الفتاةِ البائِسَة.

"حَبِيبِي مُعْلَمٌ بَيْنَ رَبْوَةٍ." إنَّهُ جَميلٌ ورائِعٌ بِجُمْلَتِهِ. هَلْ كانَ ذلِكَ الذي جاءَ مِن السَماء قَبْلَ نَحو ألفيّ سَنة مُجرَّد إنسان؟ هَل كانَ الدَمُ المسفوك على تَلِّ الجُلْجُثَة لِكَي يَفدي الخُطاةِ دَماً بَشَرِيّاً فَحَسْب؟ لا يَسَعُ أيَّ إنسانٍ عِنْدَ التفكيرِ في هذا إلاّ أنْ يقولَ: "رَبّي وإلهي." "هذَا حَبِيبِي، وَهذَا خَلِيلِي، يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ" (نش 16:5). لقَد كانَت العروسُ تَعْرِفُهُ حَقَّ المَعْرِفَة، وقَد أحَبَّتْهُ، وعَرَّفَت الآخَرينَ عليهِ أيضاً. فماذا عنك أنتَ صديقي؟